



سالمى انخضراء ايجيوسى

لا اذكر « الآداب » الا وتمتد أمامي صور العالم العربي الواسع . هذا لا يعود فقط الى ان « الآداب » اقترنت بهذا الوطن وقضاياه منذ نشأتها ، وفتحت منبرها الحر الى أدبائه وشعرائه جميعهم ، بل لانها اقترنت بشخصيته أيضا ، وعكستها كما لم تعكسها مجلة أدبية أخرى في العالم العربي .

حاول ابو شادي يوم أنشأ « أبو أو » أن يلونها بلون ثقافته الانكليزية . كان ابو شادي لا منتميا في مجتمعه ، ولم يكن لانتماؤه صادرا فقط عن رفضه الواعي للاوضاع الاجتماعية والاخلاقية والادبية في وطنه ، بل بحكم شخصيته أيضا وطبيعته النفسية التي لم تنسجم قط مع الروح العامة حوله ، فعاش غريبا ومات غريبا معذبا . كان عالم الآداب في زمنه ، وفي مصر بالذات ، قاسيا عسيرا سيطر عليه عدد من الأدباء اتسم بعضهم بالشراسة والفرسة وبعضهم بالتحزب والتعصب . وقد اقتحم ابو شادي هذا العالم الصعب بروحه الحساسة الغامرة وبمفاهيمه الادبية الطريفة ، ليجد سريعا بأنه لم يكن كقرا للذين تصدوا له من المظلمين بالمنسوخ التفكيرى والمزاج العاطفي في وطنه ، ففضوا على مجلته الرائدة التي كانت لهم مجلة اخصت بالشعر في تاريخ الادب العربي جميعه . والسر في الامر هو ان « أبو أو » عجزت عن استقطاب عدد كاف من القراء في زمنها يناصرونها ويمدونها بالمال

ان اهمية اية مجلة ادبية لا تنحصر فقط في نوع المادة التي تنشرها ، بل في فعالية الدور الذي تلعبه في تطوير الادب والفكر في زمنها .

في تاريخ الادب العربي التحديث عدد محدود من المجلات الادبية لعبت دورا تاريخيا في تغيير اوضاع الادب في الفترة التي عاصرتها . من هذه المجلات كانت «أبولو» ، فهي ، بعد اكثر من أربعين سنة من انقطاعها ، لم تنزل موضع الدراسة والاهتمام بينما نسي الناس عشرات المجلات الاخرى التي ظهرت على المسرح ثم اختفت . ومن هذه المجلات مجلة « شعر » التي ستحتفظ بأهميتها في تاريخ الشعر العربي التحديث لانها لعبت دورا غاية في الاهمية في الدفاع عن قضيته وقي تثبتت أسسه الفنية . ومن هذه المجلات أيضا « الآداب » .

عاشت « أبولو » من سنة ١٩٣٢ حتى سنة ١٩٣٤ ، وعاشت « شعر » من سنة ١٩٥٧ حتى سنة ١٩٦٤ ثم من سنة ١٩٦٧ حتى سنة ١٩٦٩ . أما « الآداب » فقد استمرت في الظهور .

يعود الفرق بين مصير هذه المجلات الثلاث الى عدة اسباب لعل اكثرها وضوحا هو ان « الآداب » لم تقتصر ، كما فعلت كل من « أبولو » و « شعر » على الشعر وقضاياه . غير ان اسبابا أخرى ، غاية في الاهمية ، تكمن وراء استمرارها .



سامي انخضراء الجيوسي

في العالم العربي ، وعرفت كيف تتبنى الروح الثورية المهيمنة على هذا العالم وتعلن عنها . في هذا كانت « الآداب » مدينة الى سياسة مديرتها من جهة ، والى طبيعة الفترة الزمنية من جهة اخرى .

عندما صدرت « الآداب » في بيروت في مطلع سنة ١٩٥٣ كانت مجلة « الأديب » لصاحبها البير أديب هي المهيمنة على الحقل الادبي . غير ان « الآداب » استطاعت في اقل من سنتين أن تشق طريقها الى مركز الريادة في لبنان وفي العالم العربي . واستطاعت أن تصدر في مطلع سنة ١٩٥٥ عددا خاصا بالشعر الحديث لا يزال أهم ما كتب عنه .

وكانت بيروت نفسها قد بدأت تحتل مكان الصدارة الادبية في العالم العربي ، وهو مركز حافظت عليه حتى الحرب الاهلية الاخيرة . فقد كانت تتمتع يومئذ بحرية سياسية واجتماعية وثقافية لم تتمتع بها مدينة عربية اخرى في المرحلة . كانت منبرا للفكر السياسي وللاراء الادبية المختلفة ، ومنحتها الحرية القدرة على التنوع ، والحصانة من تحكم المذهبية والسلطوية على جوها - فغلب عليها ، يومئذ ، طابع التسامح وأصبحت مقصد الكتاب والشعراء في العالم العربي . وهذا بدوره شجع حركة النشر والتوزيع وأحدث نشاطا لا حد له في الحركة الادبية .

في مثل هذا الجو المتمتع بالحرية والتسامح الذي كان يتوق اليه الكاتب العربي في كل مكان استطاعت « الآداب » أن تشق طريقها الى محل الصدارة في اقصر وقت ممكن .

وكانت الفترة التي نشأت فيها « الآداب » ، فترة الخمسينات ، هي فترة التجديد الواسع المبدع في الشعر العربي ، وفي الادب ايضا . وتفاعلت المجلة الناشئة مع هذه الموجة الجديدة التي امتدت وانتشرت سريعا في العالم العربي من بغداد الى دمشق والقاهرة وبيروت ، وتبينت معركة التجديد ، مفسحة المجال لذلك النقاش التاريخي انحد الذي تبع حركة الشعر الحر . ان

اللازم لاستمرارها . وهذا ما حدث لـ « شعر » أيضا . بحسب المراء ان فترة ربع قرن من الزمن بين المجلتين كانت كفيلة بخلق جيل من محبي الشعر وقرائه اكبر عددا وأكثر وعيا منه في الثلاثينات . ولكن تجربة « شعر » برهنت على ان النسبة كانت غير كافية لمساندة المجلة . وقد آذى « شعر » أيضا انها اقتصرت على المشكلات الفنية في فترة كانت تتفجر بحديث الثورة والالتزام وتصير على حيوية الدور اندي يلعبه الادب في المجتمع . فقد تجنبت « شعر » الامرين : تجنبت أولا الاشتراك في معركة الالتزام التي خاضتها « الآداب » بقوة وتمرس ، وتجنبت ثانيا دراسة الادب من وجهة النظر الاجتماعية ، فقد كان محررو المجلة وكتابها البارزون اكثر ميلا الى الدراسات الفنية والتقنية ، أي الى النظر الى العوامل الداخلية في الفن ، منهم الى دراسة الادب من خلال العوامل الخارجية من اجتماعية وسياسية واقتصادية . ولعل قدرة « شعر » على تجنب هاتين الطريقتين فسي النظر الى الادب كانت تنضوي على استقلال في المذهب الفني الذي التزمته . غير ان العصر لم يكن قادرا على الخروج من انهماكه بقضايا الحياة العربية الملحة . ولذا فان التزام « شعر » بالحديث عن أسس الشعر الفنية وقضاياها الجمالية والتقنية وتطورها (تطور هو نفسه من نتاج هذا العصر المتحرك) لم يستطع أن يشبع حاجة القراء الى الالتفات الدائم الى واقع الحياة العربية وانعكاسه في الشعر وتأثير الشعر عليه . وقد برهنوا على هذا في موقفهم من المجلتين . لعل سهيل ادريس رجل أعمال أقدر من يوسف الخال ، ولكننا يجب أن نذكر ان العصر كان في جانبه وان مجلته كانت دائما تعبيراً عن قضايا هذا العصر .

كانت « الآداب » بروحها وهدقها وانتمائها قادرة

على أن تضمن لها جمهورا واسعا . فهي ، منذ نشأتها ، واكبت الاحداث القومية وعبرت بقوة عن المشاعر العربية العامة، فركبت رأس الموجة في الصراع الفكري والحضاري

هل كانت رغبة « الآداب » في التعبير عن روح العصر وفي تنشيط الحركة الأدبية المعاصرة هي السبب في عدم اهتمامها بدراسة الأدب العربي الكلاسيكي ، بشكل خاص ؟ لا شك أن منهاجها العام كان مبنياً في الدرجة الأولى على الاهتمام بالأحداث الأدبية المعاصرة وبما يحدث في الأدب من تغيير وتجديد في المرحلة . غير أن سبباً آخر قد يكمن وراء ذلك . فحتى مطلع السبعينات كان أغلب الذين هاجموا الأدب الكلاسيكي والتراث يجهلون ، وكان أغلب آذين دافعوا عنه تقليديين سلفيين لا ينفع هذا الأدب دفاعهم . ولعل « الآداب » كانت تدرك هذا فتجنبتة .

هذه بعض النقاط الإيجابية التي تميزت بها « الآداب » . وبقي نقطة أخيرة أحب أن أذكرها ، وهي أن « الآداب » ليست مؤسسة عامة كالهلال والمقتطف وروز اليوسف التي تلونت باللون المحلي العام بحيث تستطيع أن تغير محرريها وإدارتها دون أن يحدث تغيير جذري في منهاجها أو روحها . « الآداب » تختلف عن هذا ، فهي في روحها وأسلوبها ذات علاقة صميمية مباشرة بشخصية صاحبها ، تستمد طاقتها مجدداً في كل عدد من طاقة محرريها وتلون بسياستهما ومفهومهما للادب والحياة . وإن ما ينقدها من سيطرة الأسلوب الفردي عليها هو أن في موقف صاحبها تجاوباً مستمراً مع روح العصر العامة وتطلعات جمهور القراء في العالم العربي .

سلي الخضراء الجبوسي

من منشورات دار الآداب

● خليل مطران

« مختارات من شعره »

اختارها وقدمها

احمد عبد العطي حجازي

● بدر شاكر السياب

« مختارات من شعره »

اختارها وقدم لها أدونيس

« الآداب » سجل وثائقي مهم لتطور المفهوم الشعري في مطلع الخمسينات وعلى صفحاتها وصل رواد حركة التجديد الشعري إلى الشهرة والتمرس . حتى إذا جاءت « شعر » سنة ١٩٥٧ وجدت القائمة معدة ، تكاد تكون كاملة ، ولم تحتج إلى أن تخوض المعركة التي نشبت اثر الصدمة العنيفة التي أحدثها الشعر الحر في الحساسية الشعرية الموروثة ، فقد خاضتها بها « الآداب » ، ومهدت طريق التجديد ووجهت الحساسية الشعرية عند جيل الشبان في مطلع الخمسينات نحو تدوق الإيقاعات الجديدة والتفاعل مع المحتوى الحديث . وبدأت « شعر » من هذه القاعدة الممهدة لتصل بفكرة التجديد إلى مستوى العقيدة الفنية .

ومن أهم ميزات الدور الذي لعبته « الآداب » ، ولعله أهم أدوارها ، هو أنها وقفت إلى جانب الثقافة الحديثة ودعت إلى المعرفة الواعية بالنقد والأدب الغربيين ، ولكنها وقفت في الوقت نفسه بقوة إلى جانب التراث العربي الروحي والأدبي ، ودعت إلى التمرس بالأصالة العربية في اللغة والروح . قدمت للقارئ سارتر وكامو وبوفوار واليوت ولوركا وكوتن ويلسون وكثيرين من الأدباء العالميين ، دون أن تسهم في تعميق الإحساس بالنقص تجاه الفكر الغربي . إنها لم تمجد قط الإبداع الغربي على حساب الإبداع العربي ولم تسمح بانثك في الحضارة العربية وامكاناتها وقدرتها على الحياة . قلة من نقادنا الحديثين استطاعوا أن يتجنبوا تحميل القارئ عبئاً لا ضرورة له من مركب النقص والإحساس بالعجز إزاء حضارة الغرب (من هذه القلة مارون عبود ، احسان عباس ، رجاء النقاش مثلاً) . أن تاريخ النقد العربي الحديث تاريخ مرهق بعدد النقاد الذين قارنوا مقارنة محجفة بين التراث الأدبي العربي والآداب الغربي الحديث فشذبوا الأول ومجدوا الثاني بلا حساب .

لا شك أن في حياتنا المعاصرة وأخلاقنا المعاصرة الكثير مما يجب رفضه والإصرار على تغييره . غير أن هؤلاء النقاد لم يدركوا أن البناء الصحيح لا تقوم به إلا النفوس المعافاة التي تدرك حتمية الأوضاع المعاصرة وتعتبر نفسها وريثة الحضارة الإنسانية جميعها ، في الشرق وفي الغرب . « الآداب » أدركت هذا . وكان أسلوبها واهتماماتها (انتقاؤها للمواضيع ، برنامجها ، استفتاءاتها ، مناقشاتها) تشير إلى نقتها بمستقبل الحياة اتعربية وبقدرة الإنسان في العالم العربي على تجاوز حاضره وعلى الإبداع . وكان هذا من بواعث نجاحها واستمرارها .

ولقد كانت « الآداب » صوتاً عربياً انطلق مؤكداً وحدة الحضارة والمصير ووحدة الحركة الأدبية في العالم العربي . ومن يدرس هذه المجلة عبر السنوات يتأكد من تفاعل التيارات الأدبية بعضها مع البعض الآخر في العالم العربي وانسجام الحركة الأدبية فيه .